مواقُع وادي الخابورِ الأَسفلِ وفلجه في سورية

نائل حنون(*)

تاريخ التقديم: ٢٠٢٢/١٢/٢٥ تاريخ المراجعة: ٢٠٢٣/١/٢٤
تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١/٢٩ تاريخ النشر الالكتروني: ٢٠٢٤/١/١

الملخص:

يستند هذا البحث على كلا الدليلين الأثري والكتابي لعرض التأريخ القديم لمنطقة وادي الخابور الأسفل في سورية، ويبتدئ بعرض ذكر نهر الخابور في النصوص المسمارية وطريقة كتابة اسمه فيها، وهو الاسم العربي الحالي للنهر نفسه. ويتناول أيضاً تأريخ استيطان حوض هذا النهر منذ أقدم العصور.

كانت المدينة الرئيسة في المنطقة المعروفة بدور – كاتليمو التي تم التنقيب في موقعها، وتعرف محليا بتل الشيخ حمد. ويعرض البحث كيفية التوصل إلى معرفة الاسم القديم لهذا الموقع، وكذلك نتائج التنقيب التي أجريت فيه. ولما كانت منطقة الخابور الأسفل قد وثقت بشكل جيد في نصوص كل من الملكين الآشوريين أدد – نيراري الثاني وتوكلتي – ننورتا الثاني، وكلاهما زار المنطقة في سنوات حكمه، فقد استعين بتلك النصوص لإلقاء الضوء على تحديد المدن القديمة التي كانت تشغل المواقع الأثرية الرئيسة فيها، وهي: تل الصور، تل فودين، تل حنظل، تل مشيح والبصيرة.

يتطرق البحث أيضاً إلى "فلج الخابور" الذي ذكرته النصوص الآشورية بالاسم ذاته، للتعرف من خلاله على دور الأفلاج في حضارة بلاد الرافدين القديمة وصلتها بأفلاج عُمان.

الكلمات المفتاحية: مواقع أثرية، وادي الخابور الأسفل، فلج، مدن قديمة، سورية.

* أستاذ دكتور/ مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية، جامعة نزوى/ سلطنة عُمان
E-Mail:nail@unizwa.edu.om
ORCID: 0009-0000-0307-2374

The Sites and Canal (Falage) of the Lower Khabur Region in Syria

Nael Hanoon(*)

Received Date: 25/12/2022 Reviewed Date: 24/1/2023
Accepted Date: 29/1/2023 Available Online: 1/1/2024

Abstract:

Both archaeological and written evidence are used in this study to introduce the ancient history of the Lower Khabur region in Syria. The study starts with the name of the Khabur river in the cuneiform texts and the way of writing the name of it. This modern Arabic name is the same name of the river in those texts. Besides, the history of ancient settlement in the valley of this river, since the oldest periods is studied her.

The site of the main city in the region, known as Dur-katlimu, was identified in Tell Shaikh Hamad which had been excavated. The study shows how this discovery was done and explain the results of the excavations.

Since the region is well documented through texts of the Assyrian kings Adad-nerari II and Tukulti-Ninurta II, both had visited it, the study used those texts to prove the identity of the major archaeological sites there: Tell al-Ṣur, Tell Fodin, Tell Ḥanthal, Tell Mushiḥ and Baṣaira. The study also includes “Falage al-Khabur” as was mentioned in the Assyrian texts.

Keywords: Archeological Sites, Lower Khabur Valley, Paralysis, Ancient Cities, Syrian.

(*)Prof. Dr/ Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arab and Human Studies/ University of Nizwa/Sultanate of Oman

المقدمة:

يعد نهر الخابور أطول روافد نهر الفرات، اذ يبلغ طوله زهاء ٢٤٥ كم من منابعه، في جبال ماردين وطور عابدين في جنوب – شرقي تركيا، إلى مصبه في الفرات، على بعد نحو ٣٥كم جنوب – شرقي مدينة دير الزور. وتغذي الخابور بالمياه عدة روافد ووديان أهمها رافده الشرقي، نهر الجغجغ الذي عرف في أخبار البلدانيين العرب باسم الهرماس الذي عد في تلك الأخبار مصدراً لمياه وادي الثرثار[1] في شمال – غربي العراق.

يمكن تقسيم وادي الخابور إلى قسمين: الخابور الأعلى، أو مثلث الخابور، وهو الجزء الموجود في محافظة الحسكة السورية حالياً، ويتصف بكثافة المواقع الأثرية فيه، ومن أهمها تل براك، شغار بازار، تل الفخيرية، تل حلف، تل ليلان وتل موزان. والقسم الثاني هو الخابور الأسفل الذي يمتد من موقع الشيخ حمد حتى المصب في نهر الفرات (تنظر الخارطة في الشكل رقم –١–). ويقع هذا القسم ضمن الحدود الإدارية لمحافظة دير الزور، وهو موضوع بحثنا هذا.

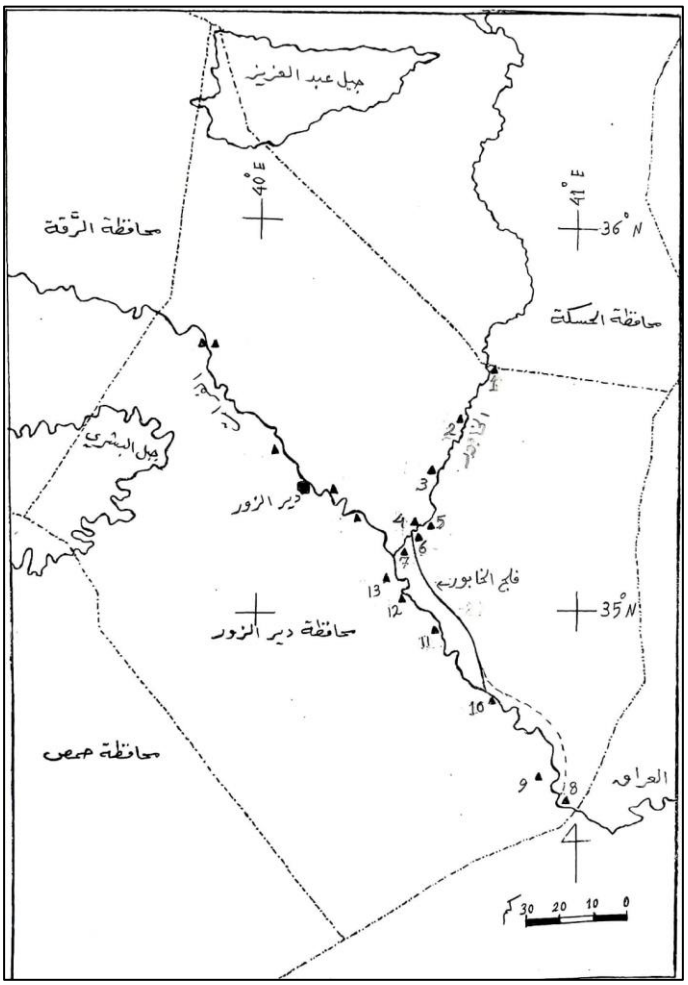

الشكل –١– مجرى نهر الفرات والخابور الأسفل والمواقع الأثرية في واديه مع فلج الخابور.

لقد احتفظ نهر الخابور باسمه نفسه منذ أقدم العصور التي دون فيها على الأقل. ففي الألف الثالث قبل الميلاد يظهر الاسم من خلال اسم الهة مشتق من النسبة اليه. ويرد اسم هذه الالهة بصيغة "خابورية"، وبالمقاطع المسمارية ᵈ خا – بو – رِ– توم (ᵈ Ḫa–bu–ri–tum). وعدت خابورية في المعتقدات القديمة من حاشية الاله داكان في منطقة الفرات الأوسط ثم انتقلت عبادتها الى جنوب بلاد الرافدين حيث ضمت إلى مجمع مدينة بوزرش– داكان (تل دريهم في محافظة الديوانية حالياً) بحسب نصوص عصر سلالة أور الثالثة[٢]. وفي الألف الثاني قبل الميلاد كتب اسم هذا النهر بصيغته العربية الحالية نفسها، خابور (مقطعيا: إد٢ خا– بو– ور –ídḪa–bu–ur)، في النصوص المسمارية من العصر البابلي القديم، وكذلك كتب بصيغة خُبور (Ḫubur)[٣]. وهناك مدينة، من العصر نفسه، حملت اسم نهر الخابور وكانت تكتب بصيغة "خابورَةُ"(Ḫaburatum). وقد افترض بعض الباحثين أن يكون موقع هذه المدينة بالقرب من جبل كوكب[٤] في شمال – شرقي مدينة الحسكة. وفي نصوص العصر الآشوري الوسيط كتب اسم نهر الخابور بالمقاطع إد٢ خا – بور (ⁱ⁷Ḫa–bur)[٥]. واستمرت هذه الطريقة نفسها في كتابة الاسم في نصوص العصر الآشوري الحديث في الألف الأول قبل الميلاد[٦]. وكتب اسم الخابور في نصوص العصر البابلي الحديث بالمقاطع إد٢ خا – بو– رو (ídḪa–bu–ru)[٧]. وتذكر المصادر الكلاسيكية نهر الخابور باسم خابوراس أو آبوراس[٨].

يظهر من النصوص المسمارية أن اسم الخابور أطلق أصلاً على إله ذكر، وحملت إلهة أنثى الصيغة المؤنثة من اسم النهر اسماً لها[٩]، وهو "خابورية" الذي سبقت الاشارة اليه آنفا. وورد اسم النهر أيضا في اسم شخص مذكر من العصر البابلي القديم. بصيغة موت–خابور (mu–ut–ḫa–bu–ur)[١٠] الذي يعني باللغة الأكدية: "رجل الخابور". ومن المرجح أن نهر الخابور كان أحد الأنهار التي كان يحتكم إليها في الخلافات أو التهم القضائية في سياق ما يعرف بمصطلح "محنة النهر" أو "اختبار النهر". وهو الاختبار الذي كان يجرى بجعل المتهم يخوض في نهر لإثبات براءته في حال خروجه سالماً[١١]، ويفترض أن تكون لهذا النهر صفة من القدسية.

إن أقدم سكنى اكتشف الدليل عنها في حوض الخابور، لغاية الوقت الحاضر، تعود في تأريخها إلى مرحلة ما قبل الفخار الثانية من العصر الحجري الحديث. وبلغ الاستيطان في المنطقة ذروته في أواخر الألف الثالث وأوائل الألف الثاني قبل الميلاد، سواء في عدد المواقع أم في عدد السكان[١٢].ومن المعروف ان العاصمة الآشورية نقلت آنذاك إلى مدينة شوبات – أنليل (تل ليلان حالياً) في عهد شمشي – أدد الأول، ملك بلاد آشور (١٨١٣ – ١٧٨١ ق.م). وقد ضمت منطقة الخابور، في الألف الثاني قبل الميلاد، قلب مملكة ميتاني وعاصمتها واشُكانِّ

(Wšukkanni) التي يحتمل أن يكون موقعها في تل الفخيرية بالقرب من مدينة القامشلي السورية.

في العصر الآشوري الوسيط كانت منطقة الخابور محل تنافس آشوري ميتاني، وقد سيطر عليها الملك الآشوري أدد – نيراري الأول (١٣٠٧–١٢٧٥ق.م). لكن الدولة الآشورية فقدت سيطرتها على المنطقة بعد ذلك بوقت قصير مما تطلب من الملك شلمنصر الأول (١٢٧٤–١٢٤٥ق.م) أن يستعيدها لتستمر تحت السيطرة الآشورية في عهده وعهود خلفائه. وفي عهد الملك تجلات – بلاصر الأول (١١١٥–١٠٧٧ ق.م) كانت المنطقة ضمن المملكة الآشورية، غير أن الملوك الذين خلفوه، مثل آشور– بيل – كالا (١٠٧٤–١٠٥٧ ق.م)، اضطروا الى القيام بحملات حربية في المنطقة لصد هجمات الآراميين[١٣]. ومنذ بداية العصر الآشوري الحديث قام بعض الملوك الآشوريين برحلات الى منطقة الخابور، ليس لإلحاقها بدولتهم وإنما لتسلم الهدايا والضرائب من حكامها. ومن بين هؤلاء الملوك أدد– نيراري الثاني (٩١١ – ٨٩١ ق.م)، توكلتي– ننورتا الثاني (٨٩٠ – ٨٨٤ ق.م) وآشور– ناصر بال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م). وفي ذلك الوقت كان يدير معظم مدن المنطقة ومراكزها المهمة حكام آراميون محليون. وعلى الأرجح أن منطقة أعالي الخابور كانت في حينه تابعة لمملكة جوزانا (تل حلف حالياً)، في حين كانت منطقة الجغجغ تحت سيطرة نصيبين. أما منطقة الخابور الأسفل فكانت جزءا من محافظة الرصافة[١٤].

جبل عبد العزيز:

يمتد جبل عبد العزيز (ينظر الشكل –١–) مابين نهر الخابور في الشرق ونهر البليخ في الغرب. وبذلك فإن هذا الجبل يشغل جزءاً من محافظات: الحسكة، دير الزور والرَّقة الحالية. ويطابق بعض الباحثين [١٥] هذا الجبل مع جبل دِبار (Dibar) المذكور في النصوص المسمارية.

تل الشيخ حمد:

يقع تل الشيخ حمد (الرقم 1 في خارطة المواقع الأثرية، الشكل –1–) على الضفة اليسرى (الشرقية) لنهر الخابور، عند دائرة العرض ٣٨،٥٨´ ٣٥ شمالاً وخط الطول ٣٨،٥٨´ ٤٠ شرقاً. وهذا الموقع الأثري يقوم عند الحدود الإدارية الحالية بين محافظتي دير الزور والحسكة، وذلك على بعد نحو ٦٥ كم إلى الشمال من مصب الخابور في نهر الفرات، وعلى بعد نحو ٧٠ كم شمال–شرق مدينة دير الزور. يغطي الموقع حاليا مساحة تبلغ ١١٠ هكتارات، وله شكل مستطيل يمتد من الشمال– الشرقي إلى الجنوب – الغربي بطول ١٤٠٠م وبعرض ٨٠٠م. ومن أبرز أجزاء الموقع مرتفع القلعة في الزاوية الغربية منه (الرقم١ في المخطط الكنتوري للموقع، الشكل –٢–). وهناك مرتفع آخر في الزاوية الشرقية (الرقم ٢). ويوجد امتدادان للمدينة

السفلية، أقدمهما (الرقم ٣) في شرقي مرتفع القلعة، والآخر (الرقم ٤) في وسط الموقع. وامتدت ضواحي خارجية للمستوطن إلى الشمال (الرقم ٥) والشرق (الرقم ٦) من السور. وتبلغ مساحة المدينة المسورة في الموقع زهاء ٥٥ هتكاراً.

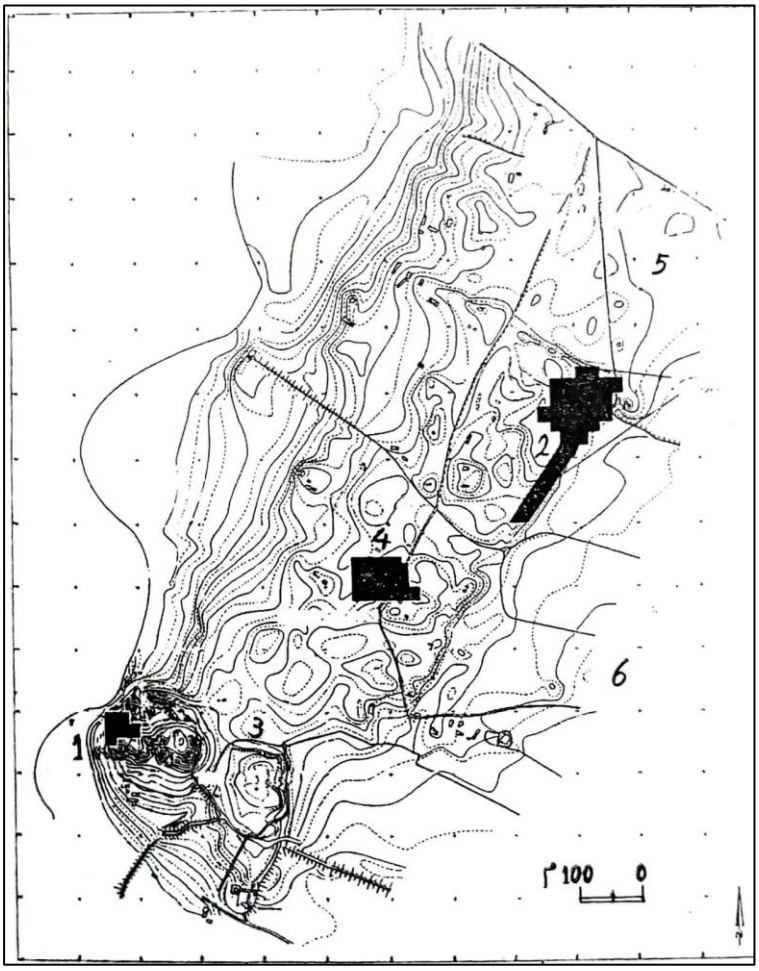

الشكل –٢– المخطط الكنتوري لتل الشيخ حمد مع مواضع التنقيب فيه.

عن: هارتموت كونه، الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣).
١–مرتفع القلعة ٢– المرتفع الشرقي ٣– المدينة السفلى الأولى ٤– المدينة السفلى الثانية ٦,٥– الضواحي الخارجية للمدينة.

كان هرمز رسام أول من قام بمسح موثق لتل الشيخ حمد وذلك في عام ١٨٧٩م حينما عثر فيه على كسرة كبيرة (٨١ × ٤٨ سم) من مسلة حجرية تعود إلى الملك الآشوري أدد–نيراري الثالث (٨١٠ – ٧٨٣ ق.م). وتحمل هذه الكسرة نقشاً كتابياً يعود لذلك الملك مع جزء من نحت بارز يظهر فيه رأس الملك [١٦]. وقد زار الموقع فون أوبنهايم في عام ١٩١١م، وماكس ملوان في عام ١٩٣٤[١٧]. وفي ذلك الحين قام أنطوان بويديبارد بعملية مسح وتصوير جوي للموقع. ثم قامت بعثة أثرية من جامعة توبنكن الألمانية بمسح للموقع في عام ١٩٧٥م. ولما عادت هذه البعثة لزيارة الموقع في عام ١٩٧٧م قام أحد سكان قرية الشيخ حمد الحالية

القريبة من الموقع بإرشادها إلى موضع عند السفح الغربي لمرتفع القلعة، حيث ظهرت كسر من رقم طينية على أثر انجراف التربة بفعل المياه الجارية. وهذا ما أدى الى جمع ثلاثين رقيماً من ذلك الموضع، وهو ما شجع على تشكيل بعثة مشتركة من جامعتي برلين وتوبنكن للتنقيب في تل الشيخ حمد[١٨]. وقد بدأت البعثة الأثرية أعمالها للموسم الأول في ربيع عام ١٩٧٨م. تواصلت مواسم عمل البعثة، وكان موسم عام ٢٠٠٧م هو الموسم السابع والعشرين في هذا الموقع.

لقد دلت عمليات التنقيب الأثري على أن تل الشيخ حمد شهد تاريخاً طويلاً من الاستطيان ابتداءً من دور الوركاء المتأخر في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد حتى العهود الاسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي. وفي تلك العصور المتعاقبة كان شكل المدينة ومساحتها يتغيران من عصر لآخر. ففي دور الوركاء المتأخر والعصر البرونزي المبكر، وحتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، كانت السكنى مقتصرة على مركز التل المطل على النهر (المخطط أ في الشكل –٣–). ومنذ بداية العصر البرونزي الوسيط، في نحو ٢٠٠٠ ق.م، حتى القرن التاسع قبل الميلاد توسع المستوطن ليشمل المدينة السفلى الأولى إلى الشرق من التل الذي غدا من ذلك الحين مرتفع القلعة (المخطط ب في الشكل –٣–). وقد غطى المستوطن حينئذ مساحة تبلغ أبعادها ٣٥٠ × ٢٥٠ م وتغطي ١٥ هكتاراً. وتوسعت المدينة في العصر الآشوري الحديث لتبلغ أقصى اتساع لها حين ضمت المدينة السفلى الثانية ومنشآت الزاوية الشرقية وحينها شيد للمدينة سورٌ خارجيٌ اتضحت معالمه على الجهتين الشمالية والشرقية (المخطط ج في الشكل –٣–)، وامتدت ضواحيها شمالا وشرقا الى ماوراء السور. وهذا هو العصر الذي غطت فيه المدينة مساحة بلغت ١١٠هكتارات بأبعاد تصل إلى ١٠٠ × ٤٠٠ م. ابتدأ الاستطيان في موقع الشيخ حمد بالتقلص بعد العصر الآشوري الحديث، اذ عادت منطقة السكنى في العهد الأخميني والعصر الهيلينستي إلى ما كانت عليه في الألف الثاني قبل الميلاد (المخطط د في الشكل –٣–). ويبدو أن مرتفع القلعة فقط هو الذي سكن عشوائيا في العهود الاسلامية، وتحول أخيرا الى مساحة سكنية محدودة (المخطط هـ في الشكل رقم –٣–) ومن ثم إلى مقبرة[١٩].

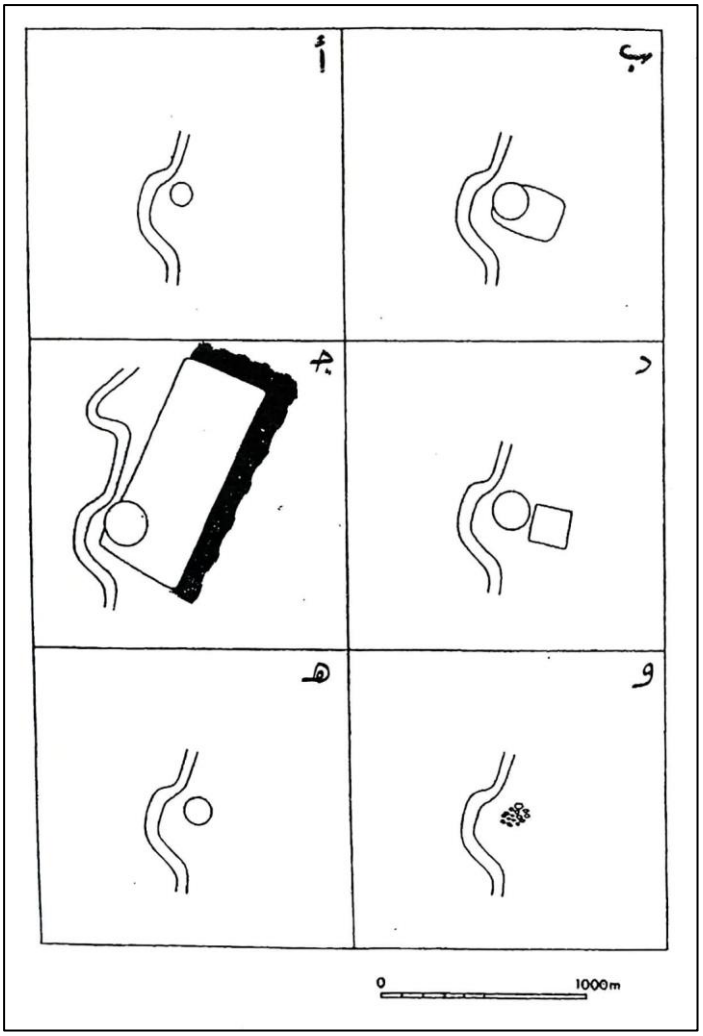

الشكل –٣– مراحل تطور مستوطن تل الشيخ حمد عبر العصور.

عن: هارتموت كونه، معرض الآثار السوري – الأوربي.

أ– من أواخر الألف الرابع إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. ب– من بداية الألف الثاني إلى القرن التاسع قبل الميلاد. ج– من ٨٠٠ إلى ٥٥٠ ق.م. د– من ٥٥٠ ق.م إلى ٦٥٠ م. هـ– من ٦٥٠ إلى ١٣٠٠م. و– المقبرة المتأخرة.

قامت البعثة الأثارية في تل الشيخ حمد بفتح مقطع اختباري في السفح الغربي من مرتفع القلعة لتحديد الطبقات السكنية التي يضمها الموقع. وقد بلغ عدد الطبقات المستكشفة في هذا الموقع ٢٨ طبقة. الأولى فقط من هذه الطبقات، وهي الطبقة العليا، تعود إلى العهود الاسلامية في القرون ٩ – ١٢ الميلادية. الطبقات ٢ – ١٦ تعود إلى العهد الروماني، ويمكن تحديد تاريخها بين ٢٠٠ و٤٠٠ م. ولكن لم يتم التوصل إلى اسم المدينة في ذلك العصر الذي تعود إليه المنشأة الكبيرة في القلعة والمعسكر في المدينة السفلى الأولى وبعض البيوت المتناثرة في المدينة السفلى الثانية مع عدد من القبور في خارج السور. وتعود الطبقات ١٧ – ٢٧ في المقطع الاختباري إلى العصر الآشوري الحديث. في الطبقة الأخيرة، وهي الطبقة ٢٨، ظهرت

بقايا العصر الآشوري الوسيط التي ضمت بقايا البناية التي عثر فيها على مجموعة النصوص المسمارية من ذلك العصر[٢٠]. وفي المدينة السفلى الثانية أرخت آخر الطبقات السكنية (العليا) من العهد الأخميني، من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ووجدت هناك أيضا بقايا سكنى من العصر البابلي الحديث حيث عثر على أربعة رقم مسمارية مؤرخة فيما بين السنتين الثانية والخامسة من عهد الملك البابلي بنوخذ نصر الثاني(٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م)[٢١]. وقد ظهر الدليل على أقدم سكنى من العصر الآشوري الوسيط عن طريق اكتشاف طبعات أختام أسطوانية على رقم مسمارية تعود إلى عهد مملكة ميتاني، وكذلك قطع فخارية من العصر البرونزي الوسيط والعصر البرونزي المبكر وفخار نينوى ٥ (من أوائل الألف الثالث قبل الميلاد) وكسر فخارية أقدم من ذلك[٢٢].

لقد كان أيكهارد اونكر E.Unger أول من افترض أن يكون تل الشيخ حمد موقع مدينة دور – كتليمو Dur–katlimu القديمة[٢٣]. وتأكد هذا الافتراض بما تضمنته النصوص المسمارية التي تحملها الرقم الأولى المكتشفة في عام ١٩٧٧م[٢٤]. وقد سبقت الإشارة إلى أن تاريخ تلك النصوص يعود إلى العصر الآشوري الوسيط. وكان اسم مدينة دور – كتليمو معروفاً قبل ذلك بسنوات طويلة، إذ إنها ذكرت في نصوص بعض الملوك الآشوريين. ومن هؤلاء الملوك آشور– بيل – كالا، في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، أدد – نيراري الثاني، توكلتي – ننورتا الثاني، آشور– ناصر بال الثاني وأدد – نيراري الثالث، وهؤلاء الملوك الأربعة حكموا في بلاد آشور في القرون: العاشر، التاسع والثامن قبل الميلاد. وكان اسم هذه المدينة معروفاً أيضاً من وثيقة قضائية مؤرخة من عهد الملك الآشوري آشور – بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ ق.م)[٢٥].

دون اسم مدينة دور– كتليمو في نصوص العصر الآشوري الوسيط مقطعياً: أورو دو– ور كات^{٢} – لِ – مو ^{uru}du–ur kát–li–mu، وكتب أيضاً جزئيا بالمقاطع الرمزية واللفظية: **باد** كات – لِ– مو BAD kat–li mu[٢٦]. وعد هذا الاسم صيغة مطورة عن الاسم الذي ورد في نصوص العصر البابلي القديم (العصر البرونزي الوسيط) بصيغة دور – إجِتلِم Dur igitlim، الذي كتب بالرموز والمقاطع اللفظية على النحو الآتي: **باد** إ– جِ – إت – لِ – إم BAD i–gi–it–li–im[٢٧]. وفي العصر الآشوري الحديث استمر اسم المدينة الآشوري الوسيط، دور – كتليمو، في الاستعمال مع ظهور صيغة مغايرة قليلا للاسم نفسه في نصوص ذلك العصر. وهذه الصيغة هي: دور – أدوك – لِمّو Dur–Aduk–limmu، التي كتبت بالعلامات الرمزية والمقطعية على النحو الآتي: **باد**^{٣} أ – دوك – ١ – **لِم** BAD A–duk–1–lim [56]. وتعني هذه الصيغة باللهجة الآشورية الحديثة، حصن""قتلت ألفاً". ومن غير المعروف فيما إذا قصد من

هذه الصيغة هذا المعنى أو أنها صيغة نتجت من التشابه اللفظي بين الاسم الأصلي للمدينة وهذه الكلمات الأكدية.

من الواضح ان السور كان يحيط بالمدينة على الجهتين الشمالية – الشرقية والجنوبية – الشرقية. ولم تستظهر بقايا هذا السور في الجهة الجنوبية – الغربية. أما على الجهة الشمالية – الغربية فيبدو أن وادي النهر كان يمثل الحاجز الدفاعي للمدينة. ويمتد السور، فيما بين الزاويتين الشرقية والجنوبية، إلى مسافة ٢٤٠ م، وقد شيد باللبن (الآجر غير المشوي) الذي يبلغ سمكه ما بين ١٣ و ١٥ سم. ويصل ارتفاع ما تبقى من هذا السور إلى ١,٦٥م، ويستدل من السبر الذي أجري عليه أن ارتفاعه الكلي لم يكن يقل عن ٤,٥ م. يبلغ عرض السور ٣م، ويزداد هذا العرض عند الأساس الذي شيد على طبقة من الكتل الحجرية والحصى يتخللها الجص، وشيد هذا السور فوق سور أقدم. كشفت التنقيبات عن أحد عشر برجاً من الأبراج الداعمة للسور، ويبرز كل منها نحو ٢,٢٠ م عن الوجه الخارجي له. إن عرض كل برج ٥م، والمسافة الفاصلة بين برج وآخر هي ١٨ م (ينظر مخطط التنقيبات في الزاوية الشرقية من المدينة والجزء المستظهر هناك من السور مع البرجين ٣ و ٤ في الشكل رقم –٤–). وقد شيدت الأجزاء السفلى من الأبراج بالطين الممزوج بالحصى [٢٩].

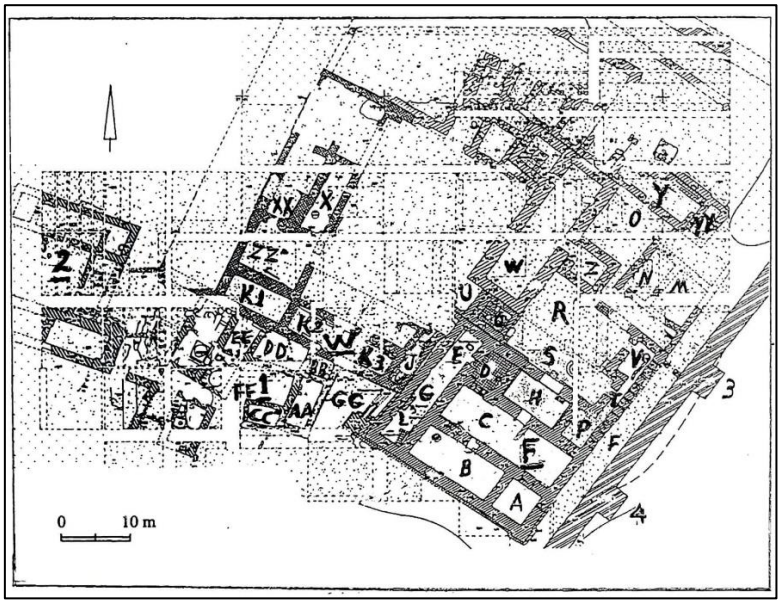

الشكل –٤–مخطط الأبنية المكتشفة في الزاوية الشرقية، تل الشيخ حمد: البناية F والبناية W، البيت ١ والبيت ٢ والبرجان ٣ و ٤.

عن: هارتموت كونه، الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦ – ٣٧ (١٩٨٦ – ١٩٨٧).

لم تكتشف أية بوابة رئيسة في سور المدينة، ولكن حدد موضعي مدخلين ثانويين أحدهما بين البرجين ٥ و ٦، والآخر بين البرجين ٨ و٩. والمدخل الأول عبارة عن ممر عرضه ١,٤٠ م كانت تخترقه قناة صغيرة لتصريف المياه. وقد أغلق هذا المدخل في عصور متأخرة[٣٠]. وفي داخل المدينة شملت عمليات التنقيب الأثري ثلاثة قطاعات (الأرقام ١، ٢ و ٤ في المخطط الكنتوري، الشكل -٢-). فتح القطاع الأول في القسم الغربي من مرتفع القلعة (العمليتان ١ و٢). وشمل القطاع الثاني الزاوية الشرقية من المدينة (العمليتان ٣ و٤). أما القطاع الثالث فقد فتح في المدينة السفلى الثانية في وسط المدينة (العملية ٥). وفيما يأتي عرض لنتائج التنقيب في هذه القطاعات الثلاثة ابتداء من القطاع الشرقي (٢) وانتهاء بالقطاع الغربي (١).

كشف التنقيب في القطاع الشرقي (الحملتان ٢ و ٣) عن بقايا بناية كبيرة مستطيلة الشكل أبعادها ٧٢ × ٣٢ م. وهذه البناية، التي أطلق عليها المنقبون اسم البناية F (ينظر المخطط في الشكل -٤- F)، تمتد باتجاه شمالي – شرقي × جنوبي – غربي شاغلة الزاوية الشرقية من المدينة مع وجود ممر (F في المخطط) يقع بينها وبين سور المدينة على الجهتين الجنوبية – الشرقية والشمالية – الشرقية. وبلغ مجموع ما استظهر من غرف ومساحات في هذه البناية اثنتين وعشرين. وعد المنقبون هذه البناية قصراً يعود تاريخه إلى العصر الآشوري الحديث[٣١]. وإلى الشمال – الغربي من هذه البناية استظهرت جزئياً بقايا بناية كبيرة ثانية (البناية W في الشكل -٤-) وبيتين (١ و٢ في الشكل نفسه).

لم يعثر على المدخل الرئيس للبناية F، التي اتخذ ركنها الجنوبي شكل البرج. وتبرز في مخطط هذه البناية ساحة واسعة (R، S) تحيط بها غرف مختلفة أهمها غرف الجناح الجنوبي – الغربي الذي يتألف من ثلاثة صفوف من الغرف. تمثل الغرفة الوسطى في الصف الأول (الغرفة H) غرفة مدخل تؤدي إلى القاعة الرئيسة (C)، ولها مدخل عريض يربطها بالمساحة R – S. إن شكل القاعة (C) يشير إلى صفة رسمية، وهذا ما يجعل لها أهمية خاصة. ولهذه القاعة، التي تبلغ أبعادها ١٩,٦ × ٦ م، جدران بسمك ١,٦٠م ذات أوجه مكسوة بالملاط. وقد كشف فيها عن أرضيات تعود إلى مرحلتين من تاريخ البناية الذي يمتد من القرن الثامن قبل الميلاد حتى نهاية المملكة الآشورية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد. وعلى أساس دراسة هذه القاعة والغرف المحيطة بها، ومقارنة ذلك بمخططات القصور الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد، ولا سيما حصن شلمنصر الثالث في نمرود (موقع العاصمة الآشورية كلخ)، ذهب المنقبون إلى أن البناية F هي قصر من العصر الآشوري الحديث. وفسروا بعض غرف هذه البناية، التي تزيد مساحتها على ٤٠٠٠ م، على أنها استعملت مخازن أو غرفاً خاصة إلى جانب غرف الأجنحة ذات الوظائف الرسمية[٣٢]. وقد أكد المنقبون على الصفة العسكرية للبناية ورجحوا

أن تكون من نوع قصور المستودعات أو الاستعراضات العسكرية الآشورية المعروفة بالاسم الأكدي "أيكال ماشَرتِ" (Ēkal māšarti) الذي يدل على هذا المعنى (ومعناه الحرفي: هيكل / قصر المسيرات) وسمي به حصن شلمنصر الثالث في العاصمة الآشورية كَلَخ. ومن الجدير بالذكر أن التنقيبات كشفت عن أرضية المرحلة الأولى في الغرفة (C)، وهي الأرضية التي تقترن مع انشاء البناية. وقد كشف عن جرن على أرضية المرحلة الثانية الأخيرة، وعثر في طبقة الرماد التي تغطي هذه الأرضية على كسرة فخارية تحمل كتابة آرامية يمكن أن تؤرخ من القرن السادس قبل الميلاد [٣٣].

توجد خلف القاعة (C)، على الجهة الجنوبية – الغربية، غرفتان (A و B) يدخل إليهما من القاعة فقط عبر مدخلين. وقد لوحظ وجود آثار عضادتين لمدخل الغرفة (B) مما يدل على أن بابها كان بمصراعين. الغرفة (A) تحتل الزاوية الجنوبية من البناية، ووجدت على أرضيتها جرتان فخاريتان وحولها أوانٍ فخارية متكسرة. وعثر في الغرفة (B) على موقد وعلى كمية من الفخار في القسم الجنوبي – الشرقي منها[٣٤]. استخرج من الغرفة نفسها مجموعة محفوظات (أرشيف) صغيرة تتألف من ستة رقم طينية تحمل نصوصاً مدونة باللهجة الآشورية الحديثة ورقيم واحد يحمل نصاً آرامياً فضلاً عن ٩ وصولات تسلم (Bullae) تحمل ملخصات لنصوص بالآرامية. ومثل هذه القطع كانت كل واحدة منها تربط بلفيفة من المخطوطات الآرامية المدونة على مواد قابلة للتلف (مثل البردي) ويدون عليها ملخص بمحتويات الوثائق التي تضمها اللفيفة. ويبدو أن عدة نصوص من هذا الأرشيف كانت وثائق قروض. وعلى مقربة من رقم هذه المجموعة وجدت رسالة من العصر البابلي الحديث. أن تاريخ هذه النصوص ينحصر مابين عام ٦٧٦ قبل الميلاد ونهاية المملكة الآشورية[٣٥]. وتذكر حاشية مدونة بالآرامية على أحد الرقم المسمارية اسم أدد – ملكي الذي عاش في عهد الملك الآشوري آشور – أيطل – أيلاني الذي حكم لمدة قصيرة (٦٢٦ – ٦٢٤ ق.م)، وهذا ما يساعد في تحديد تاريخ المرحلة الثانية من استعمال البناية[٣٦].

يوجد عند الزاوية الشمالية من القاعة (C) مدخل يؤدي إلى الغرفة الصغيرة (D) التي عثر على فأس حديدية على أرضيتها. وفي الجدار الشمالي – الغربي لهذه الغرفة يوجد المدخل الوحيد الذي يمكن الدخول منه إلى صف الغرف (E، G، L). وهذا الصف من الغرف الثلاث يمتد على الجهة الشمالية – الغربية من القاعة (C) والغرفتين (B وD)، وغرفه الثلاث متصلة ببعضها. وعلى امتداد هذا الصف نفسه، بالاتجاه الشمالي – الشرقي استظهرت غرفتان احداهما صغيرة (Q) والأخرى (W) هي أكبر غرف المجمع (٢١ × ٦ م). يوجد للغرفة (Q) مدخل صغير يربطها بالساحة (R–S) في الجهة الجنوبية – الشرقية، ولها مدخل آخر في الجهة

الشمالية – الغربية يعلوه قوس وجد سليماً بشكله الكامل [٣٧]. وللغرفة (W) مدخل واسع في ضلعها الشمالي – الغربي يفضي إلى ما يحتمل أن يكون ساحة البناية (W) المجاورة للبناية (F). والمدخل الآخر لهذه الغرفة، الذي يفترض أن يربطها بالساحة (R)، فصل عن الساحة ببناء غرفة (Z) التي يبدو أنها مضافة إلى البناء. ولم يتوصل المنقبون إلى توضيح كيفية ارتباط هاتين الغرفتين مع بقية أجنحة البناية (F) بعد تشييد الغرفة (Z). وقد عثر في الغرفة (W) على دمية من النوع المسمى "پزوزو" (Pazuzu)[٣٨]، وهو اسم كائن خرافي يصور بشكل شيطان مجنح.

على الجهة الجنوبية – الشرقية من الساحة (R–S) توجد غرفتان (P, V) يتوسطهما ممر (T) يربط فيما بينهما من جهة وبين الساحة (S) من جهة أخرى. ويوجد للغرفة (V) مدخل يربطها بالساحة (R). ويذهب المنقبون إلى أن الغرفة (V) كانت لها صفة دينية، إذ وجدت دخلتان في وجه جدارها الشمالي – الشرقي[٣٩]. ويلاحظ أن الجدار الجنوبي – الشرقي للغرفتين (P ، V) تضمن فتحات تطل على الممر (F) الذي يفصل ما بين البناية (F) وسور المدينة. ويفسر المنقبون هذه الفتحات على أنها للتهوية. ومن الواضح أن البناية (F) كانت تستمر في امتدادها إلى الشمال – الشرقي، حيث استظهرت الغرفتان (M، N) وما يحتمل أن يكون الساحة (O) التي توجد على الشمال – الشرقي منها الغرفتان(YY،Y).

كشفت أعمال التنقيب عن بناية واسعة أخرى (W) مجاورة للبناية (F) على الجهة الشمالية – الغربية. وقد استظهرت من هذه البناية غرفة طويلة (٢٧ × ٤ م) كانت مسقفة بقبو ومقسمة إلى ثلاث غرف (K1، K2،K3) بجدران وجدت على أحدها كسوة جصية. وإلى الجنوب – الشرقي من هذه الغرفة وجدت غرفة طويلة وضيقة (J) كانت مسقفة بقبو أيضاً. أن شكل هذه الغرف(K1–3 وJ) وتكوينها جعل المنقبين يفترضون أنها كانت مخازن للماء ومركزاً لتوزيعه على المدينة السفلى. واستدل المنقبون على صحة افتراضهم هذا بوجود ساقية صغيرة تخترق الجدار الجنوبي – الغربي للغرفة (J) لتمر من خلال الغرفة (GG) حيث تكون الساقية مكشوفة هناك لينهل منها الماء[٤٠]. ويبدو أن البناية (W) كانت تمتد نحو الشمال – الشرقي، بموازاة البناية (F)، حيث توجد ساحة واسعة تحدها على الجهة الشمالية – الغربية الغرف (X، XX، ZZ). ومن المرجح أن هذه البناية كانت جزءاً من مجمع القصر ومتممة لوظائفه.

لقد أمكن تحديد بقايا بيتين (١، ٢) إلى جنوب – غرب البناية (W) وغربها. استظهرت أساسات البيت الأول، واتضح منها أنه كان يضم ساحة وسطية (FF) وخمس غرف تحيط بها (AA،BB، CC، DD، EE). وعثر في هذه الغرف على مواقد وأجران ودكاك مع أوانٍ فخارية مهشمة[٤١]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه من بين المكتشفات في هذا القطاع تمثال صغير لمعبود

مصري عثر عليه في الركام الدفني قرب الجدار الفاصل ما بين الغرفة H، والغرفة D في البناية(F)[٤٢]. واستخرجت أيضاً بعض الرقم المسمارية، مع سدادة طينية تحمل ملخصاً تعريفياً باللغة الآرامية، من الغرفة (K3) في البناية (W)[٤٣].

بدأت البعثة الأثرية في تل الشيخ حمد بالتنقيب في المدينة السفلى الثانية، في وسط الموقع، في الموسم السابع (١٩٨٥ م). وكانت التحريات الأولية أثبتت أن طبقة العصر الآشوري الحديث تمتد هنا تحت سطح الموقع مباشرة، ذلك أن المدينة السفلى الثانية لم تسكن بعد ذلك العصر. وتقدر المساحة التي يغطيها هذا الجزء من مدينة دور– كتليمو، في العصر الآشوري الحديث، بنحو ٣٢ هتكاراً، أما مساحة قاطع التنقيب الذي فتح فيها (العملية ٥) فتبلغ ١٠٠٠ م^{٢}. أطلق المنقبون على البقايا المعمارية المكتشفة في هذا القاطع، في المواسم الأولى، اسم البناية (G)، وعدوها متألفة من أجنحة ممتدة من الشمال – الغربي إلى الجنوب – الشرقي[٤٤]. ثم أصبح واضحاً، فيما بعد، أن هذه البقايا تعود إلى بيوت واسعة من العصر الآشوري الحديث يصل عددها إلى أربعة على الأقل، وأن هذه البيوت كانت تحتوي على ساحات وقاعات استقبال فضلاً عن عدد من غرف الخدمة، مثل الحمامات والمطابخ وغرف المعيشة (ينظر المخطط في الشكل رقم –٥–)، وأكبر هذه البيوت هو الذي يحتل الجهة الجنوبية – الشرقية من القاطع[٤٥]، والذي أطلق عليه المنقبون اسم "البيت الأحمر"، وكان مثل بقية البيوت قد استعمل جزئياً، أو جدد، في مطلع العصر البابلي الحديث[٤٦].

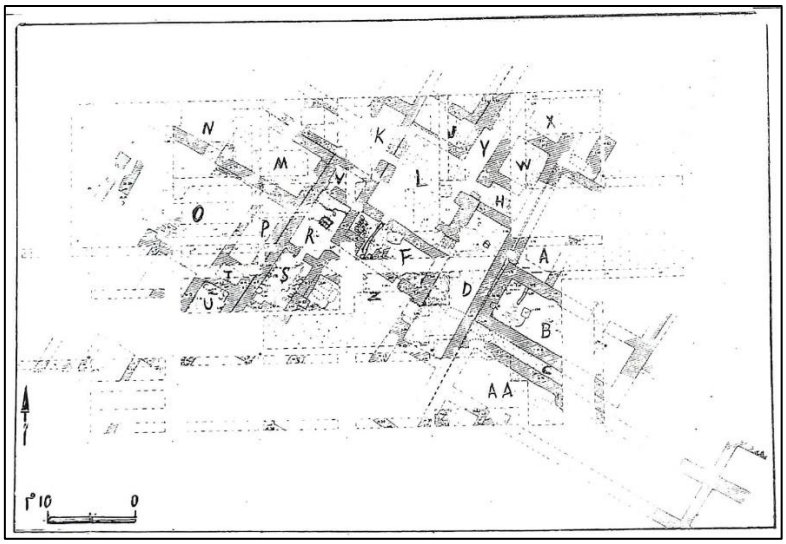

الشكل –٥– مخطط بيوت العصر الآشوري الحديث في المدينة السفلى الثانية، تل الشيخ حمد.

عن: هارتموت كونه، معرض الآثار السوري – الأوربي.

لقد تم استظهار قاعتين (A وB) وممر (C) في الجهة الشمالية – الغربية من بناية "البيت الأحمر" الكبير. قدمت القاعة (A)، التي تبلغ أبعادها ١٢ × ٤ م، أولى الأدلة الواضحة

على وجود مرحلتين من السكنى في البناية، إذ إنها شهدت، مثلما اتضح لاحقاً في غرف أخرى، أعمال ترميم واعادة بناء. فقد اكتشفت على جدران هذه القاعة رسوم جدارية تتضمن أشكالاً هندسية. وفي المرحلة اللاحقة غطيت هذه الرسوم بطبقة جصية ورسمت عليها أشكال جديدة بطريقة بسيطة[٤٧]. في القاعة (B)، ١٧ × ٥ م، عثر على الأرضية الأصلية التي تعود إلى المرحلة الأولى من تأريخ البناية. ووجدت جدران القسم الشمالي – الغربي من هذه القاعة سليمة إلى ارتفاع ٢,٣٠ م. وعلى الجدارين الشمالي – الشرقي والشمالي – الغربي، في هذا القسم، اكتشفت رسوم جدارية في شريطين يبلغ ارتفاع الأسفل منهما ٦٠ سم فوق مستوى أرضية القاعة، ورسومه بلون بني غامق. ويوجد على ارتفاع ١٦٥ سم شريط آخر يتضمن رسوماً لأزهار اللوتس. ويتضمن شريط الرسوم الممتد على الجدارين رسوماً لأشجار وبعض الحيوانات. ووجدت على الجدار الشمالي – الغربي، قرب الزاوية الشمالية للقاعة، كتابة مسمارية ملونة تقرأ بما ترجمته "بيت الجنينة". وكانت هناك أجزاء من رسوم أخرى يبدو أنها تساقطت من أعلى ذلك الجدار الذي وجدت في واجهته دخلتان صغيرتان[٤٨].

كشفت عمليات التنقيب في القسم الجنوبي – الشرقي من "البيت الأحمر" الكبير، في الغرفة (JW)، عن بقايا أرشيف بين الركام الناجم عن انهيار الطابق العلوي. يحتوي هذا الأرشيف على ٣١ قطعة طينية تحمل ملخصات تعريفية باللغة الآرامية من النوع الذي كان يربط بلفائف من مواد قابلة للتلف مما تدون عليه الوثائق الآرامية. ومع هذه القطع وجدت المئات من وصولات التسلم (Bullae) وكسر الفخار. وكان هناك المزيد من الملخصات التعريفية والسدادات الطينية في الممر (LW) المجاور لهذه الغرفة. ويعود تاريخ الوثائق الآرامية إلى السنوات الأخيرة من تاريخ المملكة الآشورية. وعثر في الغرفة (XX)، في الزاوية الشمالية من البناية نفسها، على أربعة رقم طينية تحمل نصوصاً مسمارية من العصر البابلي الحديث مدونة بلهجة آشورية حديثة مع وجود تذييلات آرامية عليها. وهذه النصوص توثق صفقات شراء حقول من قبل أدد – أبِلَ – إدِّن وشخص آخر في السنوات ٦٠٣ – ٦٠٠ قبل الميلاد، أي في السنوات الأولى من عهد الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني[٤٩].

الى الشمال – الغربي من "البيت الأحمر" الكبير توجد بناية البيت الأوسط التي تتألف من الساحة المركزية (L) والغرف(Y، W، H، D) التي تحيط بها على الجهة الشمالية – الشرقية، والغرف (K، V، R، S) الموجودة على جهتها الشمالية – الغربية، والغرفة(F)، على الجهة الجنوبية – الغربية، ومن ورائها غرفة ثانية (Z) يحتمل أنها كانت ضمن البناية نفسها. وقد اكتشفت في القسم الشمالي – الشرقي من الغرفة (D) بعض الكسر الفخارية التي تحمل زخارف بشكل خطوط متموجة، وفي الغرفة (R) وجد موقد كبير في الأرضية. أما الغرفة (S)

فقد عثر فيها على أحواض تحمل آثار طلاء، وكذلك عثر فيها على ختم منبسط ورقيم طيني تالف. وأمكن تتبع قناة صغيرة لتصريف المياه من الساحة المركزية (L)[٥٠]. وفي الجهة الشمالية – الغربية من قاطع التنقيب استظهرت بقايا بناية أخرى تتوسطها الساحة (O) التي تحيط بها الغرف (N، M، P، T). وكانت أرضية الساحة (O) مرصوفة بالآجر[٥١].

سبقت الإشارة إلى أن بعثة التنقيب الأثري في تل الشيخ حمد قامت بفتح قاطع للتنقيب (الرقم١ في الشكل –٢–) في الجهة الغربية من مرتفع القلعة، حيث أديرت العمليتان ١و٢. وهذا الموضع هو الذي ظهرت فيه مجموعة الرقم المسمارية الآشورية الوسيطة الأولى. تم الكشف في هذا القاطع، عن مجموعة غرف تعود إلى بناية مشيدة على مصطبة، أطلق عليها المنقبون تسمية "البناية P". وقد تعرضت الأقسام الغربية من هذه البناية للتهدم والحت بفعل مياه نهر الخابور الجارية بمحاذاتها. والبقايا البنائية المكتشفة هنا، في سفح المرتفع، تعود إلى الطبقة ٢٨ المؤرخة من العصر الآشوري الوسيط. يصل طول الجزء المكتشف من البناية إلى ٣٠ م وبعرض ١٥ م، ومن الواضح أن هذه البناية كانت تتألف من طابقين، وكانت هناك أعمدة خشبية تسند السقف حيث أمكن تمييز مواضعها. وحين تكسرت هذه الأعمدة وانهارت السقوف سقطت محتويات الطابق العلوي، ومن ضمنها الرقم المسمارية، وتكدست في ركام الطابق السفلي وهذا ما حصل في الغرفة (A) التي اكتشف فيها الأرشيف (ينظر مخطط البناية P في الشكل – ٦–). تبلغ أبعاد هذه الغرفة (A) ٣ × ٢,٧ م، وجدرانها محفوظة إلى ارتفاع ٤ م. ويوجد في جدارها الجنوبي – الشرقي مدخل يعلوه قوس يفضي إلى الغرفة الصغيرة (B). وإلى الجنوب – الغربي من الغرفتين (A وB) توجد الغرفة (C) والغرفة (D) وكلتاهما كبيرتان ومحفوظتان بحالة جيدة. وللغرفة(D) مدخل يعلوه قوس، وذلك في منتصف ضلعها الشمالي – الغربي، وأرضية هذه الغرفة مرصوفة باللبن، وتوجد تحتها ثلاث قنوات متوازية تنفذ عبر الجدار الجنوبي – الغربي نحو الغرفة (G)[٥٢].

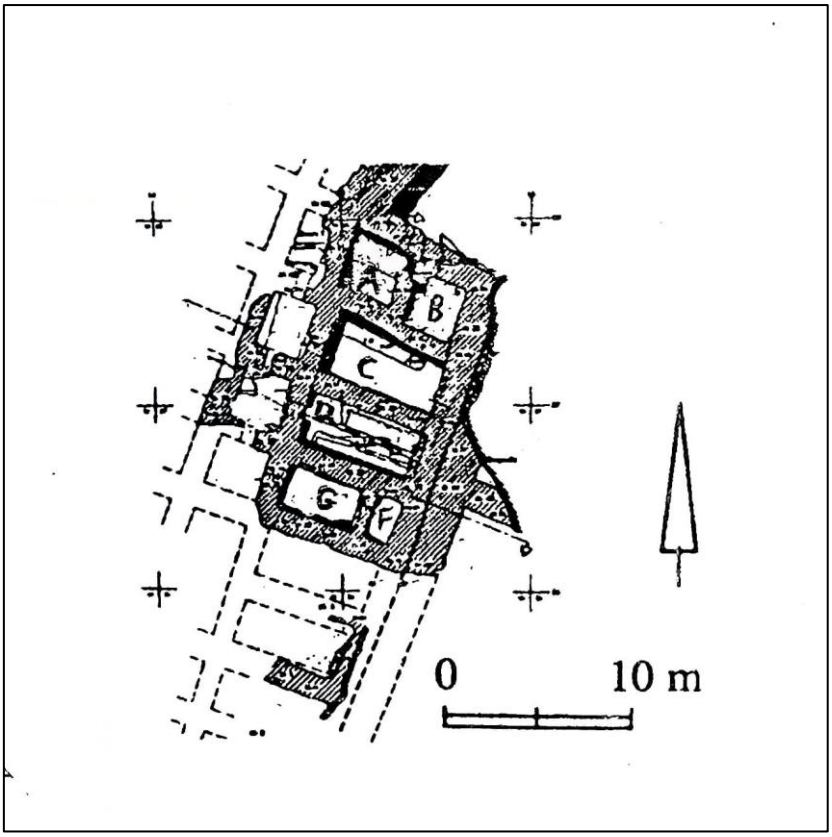

الشكل –٦– مخطط البناية(P) ، الطبقة ٢٨، السفح الغربي لمرتفع القلعة.

عن: هارتمون كونه، الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣).

بلغ مجموع الرقم الطينية المسمارية المكتشفة في البناية (P) ٦٠٠ رقيم فضلاً عن وصولات تسلم (Bullae) وطبعات أختام خاصة بالجرار وأوعية فخارية. وهذه الرقم جميعها اكتشفت في غرفة واحدة، وهي الغرفة (A)، وكانت متكدسة فوق ركام من اللبن يبدو إنه تساقط من أعلى جدران الغرفة نفسها ومن السقف. وهذا ما يؤكد أن الرقم المسمارية كانت محفوظة في الطابق العلوي، وتهاوت إلى داخل الغرفة حين تعرض المبنى للحريق وتهدمت جدرانه. وكانت آثار هذا الحريق واضحة على بقايا الجدران وعلى الرقم الطينية نفسها. وتحت الرقم كانت هناك طبقة سميكة من الرماد والقمح المتفحم. والظاهر أن هذا القمح كان مخزوناً في الغرفة داخل أكياس مرتبة فوق الأرضية المرصوفة باللبن، وربما كان هذا اللبن مغطى بألواح خشبية تحولت إلى رماد بفعل الحريق، وقد أمكن جمع ما وزنه ٧٠٠ كغم من القمح المتفحم في هذه الغرفة[٥٣].

إن النصوص المكتشفة في الغرفة (A) مؤرخة من عهدي ملكين من العصر الآشوري الوسيط، وهما شلمنصر الأول (١٢٧٣–١٢٤٤ ق.م) وتوكلتي – ننورتا الأول (١٢٤٣–١٢٠٧ ق.م). وأهم أسماء الأعلام التي تتكرر في هذه النصوص هي أسماء آشور – إدّن، ريش– أدد وشيريا. من الواضح أن مجموعة النصوص تكون أرشيفاً رسمياً خاصاً بالإدارة المحلية للمدينة.

والكثير من هذه النصوص يتضمن قوائم طويلة بأسماء أشخاص كانت توزع عليهم حصص من القمح. وهناك نصوص توثق قروضاً من الحبوب لأشخاص معينين فضلاً عن وصولات تسلم مواد مختلفة. ومن النصوص الأخرى ما يتضمن قوائم بقطعان من الماشية والأغنام والماعز التي كان يوثق تسليمها للرعاة. ويلاحظ في هذه القوائم أن طريقة التوثيق فيها تكون بحسب العمر فيما يخص الأبقار والحمير، وبحسب النوع فيما يخص الأغنام والماعز. ومما يعزز الاعتقاد بأن هذه النصوص تعود إلى أرشيف رسمي تكرر تواريخ محددة بالأشهر والأيام، أو تكرر توزيع حصص معينة سنوياً على أشخاص بذاتهم أو بالمراكز نفسها. فعلى سبيل المثال يلاحظ أنه من بين ٤٤ رقيماً مؤرخاً بالشهر نفسه، وهو شهر خيبور، يوجد ٣٣ رقيماً يحمل كل منها تاريخ اليوم العشرين من ذلك الشهر. وهذا مايوحي بأن أعمالاً كانت تجرى في ذلك اليوم سنوياً. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن عدداً من الرقم تحمل الطبعة نفسها لختم اسطواني، كما أن أسماء الموظفين نفسها تتكرر في النصوص، وهذا ما يؤكد الصفة الرسمية للأرشيف[٥٤]. ويبدو أن المسؤول الأكثر صلة بهذا الأرشيف كان آشور – إدِّن الذي حمل اللقب الرسمي "سُكَّلُ" (sukkall) أي وزير، وتصفه نصوص لاحقة بلقب "سُكَّلُ رَبيءُ" (sukkallu rabi`u)، أي "الوزير الكبير" أي بما معناه "رئيس الوزراء". ومن الجدير بالذكر أخيراً أن هذا الأرشيف يحتوي أيضاً نصاً من نوع وصف الرحلات، وكذلك ٣١ رسالة مع كسر من أغلفة طينية لبعض الرسائل. وتتعامل نصوص هذه الرسائل مع الشؤون الإدارية، وكانت إحداها مرسلة من الملك[٥٥]. وفي ضوء المعلومات التي تقدمها نصوص هذا الأرشيف يمكن القول إن مدينة دور – كَتليمو كانت، في العصر الآشوري الوسيط، مقراً لحاكم محلي يقيم في قصر قد تكون البناية المكتشفة جزءاً منه[٥٦].

تل الصور:

نزولاً مع مجرى الخابور، وعلى بعد ١٦ كم تقريباًإلى الجنوب من تل الشيخ حمد، يقوم تل الصور (الرقم ٢ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل –١–). يقع هذا التل في جنوب بلدة الصور الحديثة على الضفة الغربية للخابور، عند دائرة العرض ´٣٠ ٣٥ شمالاً وخط الطول ´٣٩ ٤٠ شرقاً. وبحسب نص حوليات الملك الآشوري توكلتي – ننورتا الثاني فأنه ينبغي أن تكون في ذلك الموقع، على بعد مسيرة يوم أو أقل من دور– كَتليمو (تل الشيخ حمد)، مدينة أوسَلا (Usala). ويروي ذلك الملك في حولياته، الخاصة بعام ٨٨٥ ق.م، أنه وصل إلى مدينة أوسَلا بعد مسيرة ثلاثة أيام من مدينة سيرق (sirqu)، وسيرق هو لفظ آخر لاسم مدينة تيرق (Terqu)، التي كشف عن بقاياها في تل العشارة (الرقم ١١ في خارطة المواقع الأثرية في الشكل رقم –١–)، حيث أمضى ليلتين خلال تلك المسيرة، كانت إحداهما في مدينة دُمّونينا (Dummunina) والأخرى في مدينة سور (Suru)[٥٧]. ولما كان تل الصور يبعد نحو ٦٠ كم

عن تل العشارة فإن مسيرة ثلاثة أيام تبدو مناسبة بينهما. وهذا ما يؤيد افتراض هارتموت كونه في أن يكون تل الصور موقع مدينة أوسَلا[٥٨]. ومن الجدير بالذكر أن اسم مدينة أوسَلا كتب في للنصوص الآشورية بالمقاطع: أو – سا – لا – ا (u–sa–la–a).

تل فودين:

يقع تل فودين (رقم ٣ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل –١–) على الضفة الغربية لنهر الخابور، ويبعد نحو ٢٠ كم عن تل الصور باتجاه أسفل النهر. وهذا الموقع يضم بقايا مدينة سور (suru) القديمة التي كانت آخر محطة أمضى فيها الملك الآشوري توكلتي – ننورتا الثاني الليل قبل أن يواصل مسيرته مع جيشه في اليوم اللاحق لتكون محطته الثانية مدينة أوسَلا (تل الصور، الموقع رقم ٢ في الشكل –١–)، التي قضى فيها الليلة اللاحقة قبل أن يواصل رحلته بعدها إلى دور – كَتليمو. وهذا السياق هو الذي جعل هارتموت كونه يطابق تل فودين مع مدينة سور القديمة[٥٩]. وهي مطابقة تسندها المعلومات التي تقدمها النصوص الملكية الآشورية عن مدينة سور، التي كتبت بالمقاطع سو – و^{٢} – رو / رِ (Su–ú–ru/ri)، وتصفها النصوص الآشورية بكونها تقع في إقليم لاقي (Laqe) وأنها تعود إلى بيت – خلوبي، وكذلك عدت من قلاع بلاد سوخو[٦٠]. وهذه المعلومات تناسب تماماً تل فودين، الذي يقع عند دائرة العرض ´٢١ ٣٥ شمالاً وخط الطول ´٣١ ٤٠ شرقاً.

تل حنظل:

يقع تل حنظل (رقم ٤ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل –١–) عند دائرة العرض ´١٥ ٣٥ شمالاً وخط الطول ´٣١ ٤٠ شرقاً، على الضفة الغربية لنهر الخابور، قبل مصبه في نهر الفرات بنحو ١٥ كم. وقد عد هارتموت كونه هذا التل موقعاً لمدينة آلُ – شا – خَرانِ (–Ālu šа–Ḫarāni القديمة التي ورد ذكرها في حوليات الملك الآشوري أدد – نيراري الثاني (٩١١ – ٨٩١ ق.م)[٦١]. وفي تلك الحوليات يذكر أدد – نيراري الثاني أنه حين غادر مدينة دور –أدُك – لِمّو (تل الشيخ حمد)، في عام ٨٩٥ ق.م، نازلاً مع نهر الخابور في طريقه إلى مدينة سيرق (تل العشارة)، مر بمدينتي زورِخ (Zūriḫ) و آل – شا – خَرانِ[٦٢]. وهذا السياق يناسب كون تل حنظل موقع المدينة الأخيرة، في حين أن المدينة الأولى ينبغي أن تكون في مكان ما بين تل الشيخ حمد وتل حنظل.

تل أبو حائط:

يقع تل أبو حائط (رقم ٥ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل رقم–١–) على الضفة الشرقية لنهر الخابور قبل مصبه في نهر الفرات بنحو ٢٠ كم وذلك عند دائرة العرض ١٥ ´٣٥ شمالاً وخط الطول ´٣٢ ٤٠ شرقاً. وقد عده هارتموت كونه موقعاً لمدينة سَنجَرِتي

(sangarite)[٦٣] القديمة التي ورد ذكرها في حوليات الملك الآشوري آشور- بيل – كالا (١٠٧٣-١٠٥٦ ق.م). إذ تذكر تلك الحوليات أن آشور – بيل – كلا هاجم الآراميين مقابل مدينة سَنجَرِتي على ضفة نهر الفرات[٦٤]، أي في المنطقة الممتدة على طول نهر الفرات على الجهة الغربية من مصب الخابور. وورد اسم هذه المدينة في حوليات الملك الآشوري مدوناً بالمقاطع سا – ان – جا – رِ- تي(sa–an–ga–ri–te).

يعود تأريخ هذه المدينة إلى عدة قرون قبل عهد آشور – بيل – كلا، وعلى وجه التحديد إلى العصر البابلي القديم، في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، على أقل تقدير. إذ يطابقها هارتموت كونه مع مدينة سَنجَرَة (sangaratum) التي ورد ذكرها في نصوص ماري ونصوص الملك البابلي سمو – إيلونا (١٧٤٩-١٧١٢ ق.م)[٦٥]. وقد دون اسمها أيضاً بصيغة سَجَّرَة (saggaratum)، وكتبت بالمقاطع: سا –ان – جا – را –تمِ (sa–an–ga–ra–tim)، سا – جا – را – تمِ (sa–ga–ra–tim) وساج – جا – را – تُم (sa–ga–ra–tim)[٦٦].

تل مشيح:

روى الملك الآشوري توكلتي – ننورتا الثاني في حولياته أنه في رحلته صعوداً من نهر الفرات، في عام ٨٨٥ ق.م، بلغ مدينة سيرق (تل العشارة) ومنها تحرك في رحلة يوم انتهت به لإقامة مخيم ومبيت الليل بالقرب من مدينة رُمُّنين (Rummuninu)، التي يقرأ كيرك غريسن اسمها بصيغة رُمُّنِد (Rummunidu)[٦٧]. ثم أن توكلتي – ننورتا الثاني روى، في المقطع نفسه من حوليته، أنه واصل رحلته في اليوم اللاحق فبلغ مدينة سور على الضفة الأخرى من الخابور. وموقع هذه المدينة في تل فودين (رقم ٣ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل رقم -١-) كما سبق شرحه آنفاً. وهكذا يتضح من هذا النص أن موقع مدينة رُمُّنين يجب أن يكون على الضفة الشرقية لنهر الخابور ويبعد مسيرة يوم واحد عن كل من تل العشارة في الجنوب وتل فودين في الشمال. وهذا ما مكن هارتموت من تحديد موقع هذه المدينة في تل مشيخ وهو تحديد مقبول[٦٨]. وتل مشيح هو الموقع رقم ٦ في خارطة المواقع الأثرية -١-.

يقع تل مشيح على الضفة الشرقية لنهر الخابور عند دائرة العرض ´١٢ °٣٥ شمالاً وخط الطول ´٣١ ٤٠ شرقاً، على بعد أقل من ١٠ كم عن مصب الخابور في نهر الفرات. ومما يؤكد أرجحية كون تل مشيح موقعاً لمدينة رُمُّنِن أن هذا التل يقوم عند بداية قناة دوارين التي سيأتي البحث على شرحها ومطابقتها مع القناة التي ذكر اسمها في النصوص الآشورية بصيغة "بَلَجُ شَ خابور" (فلج الخابور). ذلك أن حوليات توكلتي – ننورتا الثاني تصف موقع مدينة رُمُّنِن بأنه عند "بَلَجُ شَ خابور"، أي قناة الخابور[٦٩]، وهذا ما يجعلها مناسبة لموقع تل مشيح.

البصيرة:

يوجد عند بلدة البصيرة الحالية، على الجهة الشرقية من مصب نهر الخابور في الفرات، الموقع الأثري الذي يضم بقايا مدينة قرقيسيا القديمة (الموقع رقم ٧ في خارطة المواقع الأثرية في الشكل-١-). عرفت هذه المدينة في العصر الهيلينستي باسم كركيسيون (krikesion)، وحملت في العهد البيزنطي الاسم السرياني حابورا ومن ثم الاسم العربي خابور. وتظهر كركيسيوم في العهد الروماني كونها موقعاً عسكرياً متقدماً في مواجهة التهديدات الفارسية الساسانية. وكان دورها تالياً، أو متمماً، لدور دورا- أوروبس (الصالحية) في القرن الثاني الميلادي. وقد ازدهر موقع هذه المدينة المحصنة في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان، في القرن السادس الميلادي، حين شكلت حلقة في الشبكة الدفاعية في شمال سورية وشمالها الشرقي.غير أنه لم يتبق شيء من تحصيناتها الرومانية كما أن مجرى نهر الخابور ابتعد عنها نحو الغرب[٧٠].

"فلج الخابور" (قناة دوارين):

يرد في النصوص المسمارية من العصر الآشوري الحديث ذكر قناة باسم "پَلَجُ شَ خابور" (Palgu ša Ḫabūr). وهذا الاسم يعني باللغة الأكدية: "فلج الخابور". وفلج هنا كلمة مشتركة بين اللغتين الأكدية والعربية، ولكن الترجمات العربية للكلمة تستعمل لها كلمة "قناة" على الرغم من أن كلمة "فلج" مطابقة لفظاً ومعنى للكلمة الأكدية. بل إنها الكلمة المستعملة منذ الأزمنة القديمة لهذا النوع من القنوات في عُمان وحتى في الوقت الحاضر. ومن المعلوم أن حرف P اللاتيني يحل في القراءات الغربية محل حرف الفاء في أغلب الأحيان، وأحياناً محل حرف الباء. والمقصود بالفلج هو القناة التي تنقل الماء من مصدره لإرواء مناطق يرتفع مستواها فوق مستوى المصدر، وقد تكون أجزاء من الأفلاج مغطاة أو تحت الأرض. ومن المعروف أن الاسم العربي الفصيح المرادف للفلج هو "قناة"، ولكن للاستعمال العامي في العراق بالكلمة الفارسية "كهريز" مما أوحى بأن أصل نظام الأفلاج فارسي. وهذا ما يغفل وجود هذا النظام الإروائي في وادي الرافدين منذ القدم وورود كلمة فلج في النصوص المسمارية مثلما هي الحال بالنسبة لفلج الخابور.

يذهب بعض الباحثين[٧١] إلى مطابقة "فلج الخابور" مع قناة دوارين الحالية (تنظر خارطة خارطة المواقع الأثرية في الشكل -١-). وهذه القناة تأخذ مياهها من الضفة اليسرى لنهر الخابور في أسفل بلدة سكر الحالية بقليل، وتتجه نجو الجنوب - الشرقي لتلتقي بنهر الفرات في موضع يبعد قليلاً إلى الشمال - الغربي من دورا - اوروبس (الصالحية)، على الضفة المقابلة من النهر. وقد وصفت هذه القناة من قبل موسيل Musil وجرترود بيل G.Bell[٧٢].

إن هذه القناة المطابقة لفلج الخابور مع قناة دوارين تتفق مع السياق الذي ورد في حوليات الملك الآشوري توكلتي – ننورتا – الثاني. وبحسب تلك الحوليات، التي سبقت الإشارة إليها آنفاً، تحرك هذا الملك الآشوري من مدينة سيرق (sirqu)، التي تطابق تيرق (تل العشارة حالياً، رقم ١١ في خارطة المواقع الأثرية، الشكل –١–)، وأمضى الليل قرب مدينة رُمُّنين (Rummunina) "حيث فلج الخابور" (وبالتعبير الأكدي: أشَر پَلَجُ شَ خابور ašar palgu ša ḪabūruḪ) كما يرد في النص الآشوري. وقد وضحنا فيما سبق من البحث أنه من المرجح أن يكون موقع هذه المدينة حالياً تل مشيح (الرقم ٦ في الشكل –١–). ومن مدينة رُمُّنين تحرك توكلتي – ننورتا الثاني إلى مدينة سور (Suru) ، الواقعة على نهر الخابور بحسب نص الحوليات (تل فودين حالياً، الرقم 4 في الشكل –١–)، ومن هناك أنتقل الى أوسالا Usala ومن بعدها الى مدينة دور – كتليمو[٧٣]. ومن الجدير بالذكر هنا أن استعمال كلمة "فلج" لم يقتصر على اسم هذه القناة وإنما كان اسماً مستعملاً عصور حضارة وادي الرافدين القديمة. فقد وصف امتداد قناة "لِبِل خيجَلِّ" (Libil Ḫegalli)، ويعني اسمها في اللغة الأكدية "حاملة الخير"، بأنه "پَلَجِ صيت شَمشِ" (Palgi ṣīt Šamši) بمعنى "فلج شروق الشمس[٧٤]. وكانت هذه القناة تأخذ الماء من الضفة اليسرى لنهر أرَخة في مدينة بابل، جنوبي القصور الملكية، إلى وسط المدينة قي عهد نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م). أما امتدادها فكان يذهب لإرواء البساتين إلى شرق المدينة.

الهوامش:

(١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١، (بغداد، ١٩٧٣)، ص ص ٤٤–٤٥.

(2) D. O.Edzard, in Reallexikon der Assyriologie (= RIA) 4, p. 29.

(3) Brigitte Groneberg, Répertoire Géographique des Textes Cunéiformes (= Rép. Géogr.) 3, (Wiesbaden, 1980), p. 284.

(4) H. Lewy, “Studies in the historical geography of the Ancient Near East”, in OrNS. 21 (1952), p.266.

(5) Khaled Nashef, Rép. Géogr. 5, (Wiesbsden, 1982), p. 299.

(6) S. Parpola, Neo-Assyrian Toponyms, (Neukrichen-Vluyum, 1970), p.140.

(7) Ran Zadok, Rép. Géogr. 8, (Wiesbaden, 1985) p. 371.

(8) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١، ص ص ٤٤–٤٥.

(9) D. O. Edzard, RlA. 4, p.29.

(10) Brigitte Groneberg, Rép. Géogr. 3, p. 284.

(11) نائل حنون، شريعة حمورابي، ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية والتاريخية الجزء٥ (دمشق، ٢٠٠٥)، ص 254.

(12) Piotr Bienkowski, "Khabur", in Dictionary of the Ancient Near East (= DANE), (eds.) Piotr Bienkowski and Allan Millard, (London, 2000), p. 166.

(13) N. Postgate, in RIA. 4, p. 28.

(14) Ibid., pp. 28 f.

(15) M. Stol, On trees, mountains, and millstones in the Ancient Near East, (Leiden, 1979), pp. 25 ff.

(16) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (858-745 BC), (Toronto, 1996), p. 206, No. 5.

(١٧) ماكس ملوان، مذكرات ملوان، (بغداد، ١٩٧٨)، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، ص ١١٨.

(١٨) هارتموت كونه، "تل الشيخ حمد: دور كاتليمو- موسم ١٩٧٨- ١٩٨٣" في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣)، ص ٢٢١.

(١٩) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، (ب.ت)، ص ٩٧.

(٢٠) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣)، ص ٢٢٢.

(٢١) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، ص ٩٩.

(٢٢) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣)، ص ٢٢٢.

(23) E. Unger, in RIA. 2, p. 245.

(24) W. Röllig, "Dur-Katlimmu", Or NS 47 (1978), pp. 429f.

(25) A. Ungnad und J. Kohler, Assyrische Rechtsukunden, (Leipzig, 1913), No. 211.

(26) Khalid Nashef, Rép. Géogr. 5, p. 92.

(27) Brigitte Groneberg, Rép. Géogr. 3, p. 59.

(28) Simo Parpola, Neo-Assyrian Toponyms, p. 108.

(٢٩) هارتموت كونه، "تقرير أولي عن حفريات تل الشيخ حمد- دور كاتليمو- موسم ١٩٨٦"، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ترجمة وتلخيص خالد أسعد، ص ١١٨.

(٣٠) المرجع نفسه، ص ١١٧.

(٣١) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، ص ٩٩.

(٣٢) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣)، ص ٢٢٢.

(٣٣) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ٢٠٢.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ١١٦.

(35) Olof. Pedersén, Archives and Libraries in the Ancient Near East 1500-300 B.C., (Bethesda, 1998), p. 169.

(٣٦) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ١١٦.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ١١٧.

(٣٨) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، ص ٩٩.

(٣٩) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ٢٠٢.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٤١) المرجع نفسه، ص ١١٦.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ٢٠١.

(43) Olof Pedersén, Archives and Libraries…, p. 169.

(٤٤) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ٢٠٠.

(٤٥) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، ص ٩٩.

(46) Olof Pedersén, Archives and Libraries…, p. 169.

(47) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ص ٢٠٠-٢٠١.

(48) المرجع نفسه، ص 118.

(49) Olof Pedersén, Archives and Libraries…, p. 169.

(٥٠) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٦-٣٧ (١٩٨٦-١٩٨٧)، ص ص ١١٨-١١٩.

(٥١) المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

(٥٢) هارتموت كونه، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٣ (١٩٨٣)، ص ٢٢٣.

(٥٣) وولفانج روليج، "قراءة أولية للرقم المسمارية المكتشفة في تل الشيخ حمد على الخابور"، في الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٤ (١٩٨٤) تعريب وتلخيص قاس الطوير، ص ٢٧٣.

(٥٤) المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

(55) Olof Pedersén, Archives and Libraries…, p. 96.

(٥٦) هارتموت كونه، في معرض الآثار السوري- الأوروبي، ص ٩٨.

(57) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), pp. 176 f.

(58) H. F. Russell, in IRAQ 47 (1985), p. 68.

(59) Ibid, p. 68; n. 78.

(60) S. Parpola, Toponyms, p. 319.

(61) S. Parpola and Michael Porter (eds.), The Helsinki Atlas of the Near East in the Neo-Assyrian Period, (Helsinki, 2001), p. 5.

(62) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), p. 153.

(63) H. Kühne, "Zur historischen Geographie am Unteren Habur. Vorläufige Bericht über eine archäologische Geländebegehung", AFO 25 (1975-77), p.253.

(64) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), p. 102.

(65) H. Kühne, in AFO 25 (1975-77), p.252 f.

(66) B. Groneberg, Rép. Géorgr. 3, pp. 199f.

(67) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), p. 176.

(68) Simo Parpola and Michael Porter (eds.), The Helsinki Atlas…, p. 15.

(69) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), p. 176: L. 96.

(70) Ross Burns, Monuments of Syria, An Historical Guide, (London, 1994), p. 70.

(71) H. F. Russell, "The historical geography of the Euphrates and Habur according to the Middle -and Neo- Assyrian sources", Iraq 47 (1985), p. 63.

(72) Ibid., p. 63, n. 46; Musil, ME. 204; Bell, Geographical Journal 36, 530.

(73) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC II (114-859 BC), (Toronto, 1979), pp. 176f: 95-103.

(٧٤) دونالد وايزمن، نبوخذ نصر وبابل، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ٦٨.

Bibliography of Arabic References:

- Donald Wiseman, Nebuchadnezzar and Babylon, (Baghdad, 1990). (In Arabic).
- Hartmut Kuhn, "Preliminary Report on the Excavations of Tell Sheikh Hamad - Dur Katlimu - Season 1986," in Syrian Arab Archaeological Annals 36-37 (1986-1987), translated and summarized by Khaled Asaad. (In Arabic).
- Hartmut Kuhn, "Sheikh Hamad Hill: The Role of Katlimu - Season 1978-1983" in Syrian Arab Archaeological Annals 33 (1983). (In Arabic).
- Hartmut Kuhn, in the Syrian-European Antiquities Exhibition. (In Arabic).
- Max Malwan, Malwan's Memoirs, (Baghdad, 1978), translated by Samir Abdul Rahim Al-Chalabi. (In Arabic).
- Nael Hanoun, The Code of Hammurabi, translation of the cuneiform text with linguistic and historical explanations, Part 5 (Damascus, 2005). (In Arabic).
- Taha Baqir, Introduction to the History of Ancient Civilizations, Part 1, (Baghdad, 1973). (In Arabic).
- Wolfang Röhlig, "A Preliminary Reading of the Cuneiform Figures Discovered at Tell Sheikh Hamad Ali Al-Khabur," in the Syrian Arab Archaeological Annals 34 (1984) Arabization and summary of Qas al-Tawir. (In Arabic).